

القرآن كلام الله تعالى والرد على من أنكر ذلك

ثم يقول: وأن القرآن كلام الله ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفذ. وهذه مسألة عظيمة: مسألة القرآن، وهي التي امتحن فيها الأئمة؛ لما أن المعتزلة استولوا على الخليفة المأمون ولقنوه عقيدتهم عند ذلك، زينوا له أن يمتحن العلماء من أهل الحديث، وأن يعذبهم ليقولوا: إن القرآن مخلوق ولا يقولوا: إنه كلام الله فامتحن كثير من العلماء، وأوذوا ووافق بعضهم على أنه مخلوق، وادعوا أنهم مكرهون ومنهم: يحيى بن معين وغيره، ولما جاء دور الإمام أحمد صبر على الامتحان، وتصلب في ذلك، وثبت على أنه كلام الله تعالى، وضربوه ولكن ما تزحزح عن ذلك، ويقول عند الضرب: يقول: - يعني من شدة الضرب، ومن شدة الأذى - لا أرجع ولا أوقفكم: ويقول عند الضرب: لست بتابع يا ويحكم لكم بلا برهان أترون أنني خائف من ضربكم؟! لا والإله الواحد المنان فصبر على الضرب وعلى الأذى جاءوا إليه بعض أصحابه، وقالوا: وافقهم وأنت على ما أنت عليه حتى تتخلص؛ لأنه مكت في السجن نحو ثلات سنين أو أكثر، وضرب أكثر من مائتي جلدة أو ثلاثة جلدة ضرباً شديداً؛ حتى تمزقت ثيابه، وحتى تمزق جلده، ولكن الله تعالى ثبته حتى أعمى عليه، ومع ذلك صبر، لماذا؟ لما قيل له: وافق على ذلك، قال: ويحك أذهب فانظر من حول هذا القصر؟ ذهروا فوجدوا حوله عشرات ومئات وألوف من الناس معهم محابرهم، ماذا ت يريدون؟ قالوا: نريد أن نكتب ما يقوله الإمام أحمد يقول: لو قلت: إنه مخلوق لكان هؤلاء الآلوف يضلون بسبيبي؛ فلأجل ذلك صبر على هذا الأذى، وصبر على هذا التعذيب، لا شك أن هذا دليل على أنه عَرَفَ الحق وصبر عليه. المعتزلة لهم شبّهاتهم؛ تجدون بعض شبّهاتهم في شرح الطحاوية، استدلوا بمثل قوله: {الله خالق كُلَّ شيءٍ} والقرآن شيء، فنقول: إنه من صفات الله تعالى وصفات الله ليست بمخلوقة، فلا يجوز لكم أن تجعلوا شيئاً من صفاتـه مخلوقـاً ولا حادثـاً؛ فهو صفة من صفاتـ اللهـ وكذلك أيضاً يستدلـونـ بقولـهـ: {إِنَّا جَعَلْنَاكُمْ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} فيقولـونـ: جعلـ بمعنىـ خلقـ، ويـستـدلـونـ بقولـهـ تعالىـ: {وَجَعَلَ الْكَلْمَاتِ وَالنُّورَ} وأهلـ السـنةـ يقولـونـ: {جَعَلْنـاهـ قُرْآنـاـ} يعنيـ: صـيرـناـهـ، والـجـعـلـ لـيـسـ هوـ الـخـلـقـ بلـ هوـ التـصـيـرـ، وـمـنـهـ قولـهـ تعالىـ: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا} فـليـسـ معـنىـ جـعـلـواـ خـلقـواـ . منـ المـعـتـزـلـةـ الزـمـخـشـريـ صـاحـبـ التـفـسـيرـ الذـيـ هوـ الكـشـافـ ذـكـرـ بعضـ منـ تـرـجمـ لهـ، لـمـاـ كـتـبـ هـذـاـ التـفـسـيرـ، اـبـدـأـهـ بـقولـهـ: الـحـمـدـ لـلـهـ الـذـيـ خـلـقـ الـقـرـآنـ، قـالـواـ لـهـ: إـنـكـ بـذـلـكـ تـنـفـرـ النـاسـ عـنـ قـرـاءـتـهـ، فـعـنـدـ ذـلـكـ غـيـرـهـ إـلـيـ جـعـلـ الـقـرـآنـ؛ فـالـحـاـصـلـ أـنـ الـمـعـتـزـلـةـ هـمـ الـذـيـ يـقـولـونـ: إـنـ الـقـرـآنـ مـخـلـوقـ، وـمـخـلـوقـ يـمـوتـ. ذـكـرـ أـنـ الإـمـامـ أـحـمـدـ فـيـ آخرـ مـحـتـهـ لـمـاـ جـيـءـ إـلـيـهـ مـاـ رـأـيـتـ؟ـ فـقـالـ: إـنـيـ رـأـيـتـ فـيـ الـمـنـامـ أـنـيـ قـمـتـ أـيـ لـأـقـرـأـ، فـقـرـأـتـ فـيـ الـرـكـعـةـ الـأـوـلـىـ سـوـرـةـ الـفـلـقـ، ثـمـ قـمـتـ لـأـقـرـأـ فـيـ الـثـانـيـةـ، أـرـدـتـ أـنـ أـقـرـأـ سـوـرـةـ النـاسـ، فـلـمـ أـقـدـرـ فـنـظـرـتـ فـوـقـيـ، وـإـذـ الـقـرـآنـ مـيـتـ فـكـفـنـتـهـ وـصـلـيـتـ عـلـيـهـ وـدـفـنـتـهـ، فـقـالـ لـهـ الحـاضـرـونـ: هـذـاـ خـرـافـةـ، الـقـرـآنـ يـمـوتـ؟ـ!!ـ فـقـالـ: أـنـتـمـ الـذـيـنـ تـقـولـونـ: إـنـهـ يـمـوتـ، تـقـولـونـ: إـنـ الـقـرـآنـ مـخـلـوقـ، وـكـلـ مـخـلـوقـ يـمـوتـ، فـبـهـتـواـ لـذـلـكـ. فـيـقـولـ الـمـؤـلـفـ هـاهـنـاـ: إـنـهـ لـيـسـ بـمـخـلـوقـ فـيـبـيـدـ، يـعـنـيـ: فـيـقـنـىـ وـلـاـ صـفـةـ لـمـخـلـوقـ فـيـنـفـدـ، لـأـنـهـ لـوـ كـانـ صـفـةـ لـمـخـلـوقـ لـنـفـدـ كـمـاـ يـنـفـدـ الـخـلـقـ.